Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

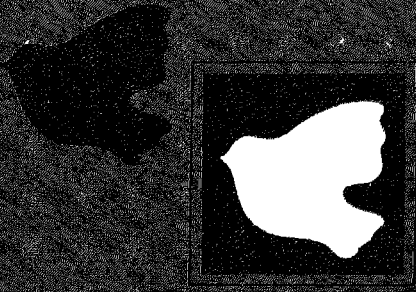

في الحرية والمساواة

د. حازم الببلاوي

دار الشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الحرّيّة والمساواة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الاولى
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - تلفون: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: 93001 SHROK UN
بيروت: ص.ب: ٨٠٢٤ - تلفون: ٢١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: شروق - تلكس: SHOROK 20176 LE
SHOROUK INTERNATIONAL: 316/316 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL: 637 2743/4, TELEX: SHOROK 267796

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د. حازم الببلاوى

فى الحرّية والمساواة

دار الشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقـــديـــم

رغم ما يعانيه استاذ الجامعة فى بلادنا من احباط فى جوانب عديدة من حياته اليومية والعلمية ، فانه يتمتع فى نفس الوقت بميزة قد يحسده عليها غيره من الكتاب . وهذه الميزة هى أن له جمهورا مضمونا من القراء ، وهؤلاء هم طلبته . وقد أدت ظروف معروفة ـ لا محل لترديدها هنا ـ إلى ربط هؤلاء الطلبه بكتاب أو كتب استاذهم ، على نحو لا يعرفه غيره من الكتاب . ولكن هذه الميزة نفسها لم تلبث ان انقلبت الى عبء نفسى شديد على نفس الاستاذ . فالطالب / القارئ وقد أصبح مستأنسا وربما مستسلما لكتابات الاستاذ / الكاتب ، قد أزال الكثير من الاثارة والمتعة فى حوار الكاتب / القارئ . كذلك فان اضطرار الاستاذ الكتابه الى طلبته فى موضوعات علمية محددة ، قد فرضت عليه تخصصا ضيقا من ناحية واسلوبا خاصا من ناحية أخرى . ولذلك فان الكتابه للجمهور الرحب عبر الصحف والمجلات السيارة كانت دائما منفذا محببا للنفس عند عدد من اساتذه الجامعات .

وقد اتيحت لى خلال السنوات الخمس عشر الاخيرة الكتابة فى الصحف من حين لآخر فى قضايا سياسية واقتصادية . ويضم هذا المؤلف مجموعة من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدراسات والمقالات والتى نشرت أو قصد أن تنشر ـ ولم تنشر ـ فى الصحافة المصرية والعربية . واذ أعيد نشرها هنا ، فاننى أضيف إلى بعضها أجزاء لم يمكن نشرها فى ذلك الوقت ـ لضيق المكان أو لغير ذلك من الاسباب . واذا كنت أنشر فى هذا المؤلف الدراسات أو الاجزاء التى لم يمكن نشرها فى حينه ، فليس معنى ذلك انه يتضمن كل ما سبق أن ارسلته لدور الصحف ولم يمكن نشره . فالحقيقة اننى لا احتفظ بأرشيف دقيق لأصول الدراسات المرسله لدور الصحافة ، وفى معظم الاحوال كنت أفقد الاصل بمجرد ارسال المقال الى الجريدة .

وقد وجدت ان عددا من هذه الدراسات والمقالات المنشورة وغير المنشورة تمثل وحدة فكرية متكاملة فى بعض من القضايا السياسية والاقتصادية بما يستحق النشر فى مؤلف واحد . ووجدت ترحيبا من دار الشروق لنشرها ومن ثم فقد كان من الصعب التخلى عن هذه الفرصة .

أما وقد سردت ظروف ظهور هذا المؤلف ، فاننى بحاجة الان الى مناقشته من الناحية من الموضوعية .

موضوع الكتاب ـ كما سبق الاشارة ـ هو قضايا سياسية واقتصادية معاصرة ، حفزت الكاتب الى الكتابه فى الجرائد اليومية . ولذلك فان أهم ما يجمع بين المقالات الواردة بين دفتى هذا المؤلف هو أنها تتعرض لقضايا معاصرة . كانت كذلك عند كتابتها ولازالت بنفس الدرجة الآن عند تجميعها فى مؤلف واحد . أما الأمر الثانى الذى يجمع بين هذه المقالات ـ وأيا كان موضوعها أو عنوانها ـ فهو مصر . فقد كانت مصر دائما فى ذهن الكاتب عند مناقشة أى موضوع وكل اقتراح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذ اخترت عنوانا لهذه المجموعة «فى الحرية والمساواه» ـ وهو أحد موضوعات المؤلف ـ فان ذلك يرجع الى اعتقادى بأن هذا موضوع بالغ الخطورة فى اللحظة التاريخية التى تمر بها بلادنا الآن ، وهى فى فترة البحث عن هويتها السياسية . وقد كان موضوع الحرية والمساواه هاجسا للفكر الانسانى منذ الثورات العالمية الكبرى ـ الفرنسية والروسية بوجه خاص ـ ولكنه لازال جوهريا ومعاصرا حتى هذه اللحظة . وقد كانت كتابات توكوفيل « De Tocqueville » رائدة فى هذا المجال منذ اكثر من قرن ونصف وها هو ريمون أرون « Raymond Aron » فى فرنسا يتوج حياته الفكرية بحواره «شاهد على العصر» وهو يتحدث فى نفس الموضوع وربما بنفس العبارات . كذلك فان اختيار هذا العنوان «السياسى» ، يتضمن فى الواقع تعبيرا عن أهمية «السياسة» أو «السلطة» فى الحياة الحديثة . وهو أمر لا يخلو من دلالة ، خاصة اذا كان الكاتب بالمهنة اقتصاديا .

والحق أن قضية «السياسة» و «الاقتصاد» قد احتلت فى الفكر الحديث اهمية كبرى وخاصة فى ضوء الكتابات الماركسية أو المتأثرة بالمذهب الماركسى ـ والتى تعلن أهمية العامل الاقتصادى . وليس هنا محل للجدل فى مدى اولوية أو أهمية العامل الاقتصادى أو السياسى فى التأثير على تطور المجتمعات . وللتبسيط ـ ورغم كل محاذير التبسيط ـ فان موقف الكاتب هو أن «الاقتصاد» يطرح المشاكل والخيارات ، وأن «السياسة» تحسمها . وبطبيعة الاحوال ، فأن هذا تبسيط للأمور قد يخفى من الأشياء أكثر مما يظهر . ولكنه على أى حال يوجز نظرة الكاتب فى هذه القضية الاساسية .

وقد جمعت الدراسات المتقدمه فى خمسة فصول هى على التوالى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلاقات الدولية . الاقتصاد العالمى ، الحكم ، الاقتصاد المصرى ، العلاقات العربية . ورغم ما قد يبدو من تعدد فى الموضوعات فإن هناك وحدة فكرية متصله بين مختلف هذه الموضوعات .

وليس من السهل استخلاص ما يعتبر من الخطوط الاساسية وراء تفكير الكاتب . فالعادة أن تفضيلات الكاتب ـ أى كاتب ـ تبقى ضمنية غير معلنه بل وأحيانا تكون غير واعية .

ومع صعوبة المحاولة فإننى سوف احاول أن استشف ما اعتقد انه يمثل مرتكزات اساسية وراء ذهن الكاتب فيما تناوله من موضوعات . أما ما خفى وراء اللاوعى فأمره عند غير الكاتب .

ولعل أول هذه المرتكزات هو «الواقعية» . وهنا أجد الكاتب قد تأثر بتكوينه المهنى كاقتصادى . فالاقتصاد كعلم يبحث فى الموارد «المحدودة» ، ومن ثم فان الاقتصادى لا يبحث عن «المرغوب فيه» بقدر ما يبحث عن «الممكن» وعن تكلفته . فلا شئ بلا ثمن . الاقتصادى يختلف هنا عن الفليسوف أو الاخلاقى الذى يهتم «بالغايات» اكثر من اهتمامه «بالوسائل» . ويمكن استخلاص هذه الواقعية من خلال الكتابات المتقدمه سواء فى الاعتراف بضعف الدول النامية والقيود الواردة عليها ، أو بتكرار وتردد لفظ «الفاعلية» و «الكفاءة» فى مختلف المقالات أو فى ادراك نسبية الحلول واستبعاد فكرة الشر الخالص والخير المطلق .

وربما يكون ثانى هذه المرتكزات هو الافتتان بقضية «الحرية» . والحرية هنا هى «الحرية الفردية» وليست أى مفاهيم أخرى للحرية تنتهى بالعسف على «حقوق الانسان» من حيث هو انسان . فالاساس عندى هو حرية الفرد بمعنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاعتراف له بحقوق اساسية لا يمكن المساس بها تحت أى دعاوى اخرى براقه . والافتتان بالحرية بهذا المعنى قد يكون اتجاها مثاليا يتعارض مع ما أشرت اليه من واقعية ، ولكنها ايضا دعوة لا تخلو من واقعية . فالفرد ليس كيانا ميتا فيزيقيا يعد بجلائل الاعمال ويزعم العمل من أجل المصلحة العامة ويستشهد من أجل الاجيال ، وانما هو واقع محدود الطموح قليل الادعاء أنانى فى الغالب . ومع ذلك فان كل جلائل الاعمال انما خرجت على أيدى هؤلاء الافراد الذين يعملون فى حرية واستقلال . ويظهر هذا الافتتان بالحرية الفردية ليس فقط من خلال مناقشة قضايا الحرية والمساواة وانما من التخوف الدائم من سطوة المؤسسات والمنظمات والتى يختفى فيها الانسان الواقعى لنقف امام أجهزة غير انسانية ننسب اليها حكمه غير موجودة وعلما غير قائم وكفاءة مفقودة . وهذا لا يحول دون الاعتراف بضرورة المؤسسات والمنظمات فى كثير من الاحوال ، ولكن الخطر كل الخطر هو فى اتجاه هذه المؤسسات الى الشمولية من ناحية والترهل من ناحية أخرى . ولذلك فاذا كان التنظيم ضروريا فان التعدد امر لازم بنفس القدر لكبح جماح الاتجاهات الشمولية وعدم الكفاءة .

وأخيرا وربما ايضا استمرارًا على نهج الواقعية هناك ادراك للترابط والاندماج فى الاقتصادى العالمى بكل ما يفرزه من تطورات ، وضرورة متابعة العصر والانفتاح عليه . ومن المصادفات أن لفظ « الانفتاح » ولم يكن متداولا ، قد استخدم ــ ربما لاول مرة فى السياسة المصرية ــ فى احدى المقالات فى وقت سابق على ما عرف بعد ذلك باسم الانفتاح وان كان فى معنى مختلف . ولعل من أهم مظاهر العصر هو قيام ثورة المعلومات وتأثيرها على مختلف نواحى الحياة المعاصرة . وقد تأثرت كتابات الكاتب بهذه الظاهرة منذ وقت مبكر وحظيت بمكان خاص فى تفكيره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد ... هل هذا يكفى لاستخلاص اهم الخطوط الرئيسية وراء فكر الكاتب فى هذه المقالات ؟ الاجابة : بالقطع لا . فهناك بالضرورة أمور أخرى قد يراها القارئ ولا يدركها الكاتب ، ولا بأس من أن تترك لتقديره . فهو فى نهاية الأمر المخاطب بهذه المقالات .

وأخير .. فان كلمة انصاف تقتضى الاشارة الى عدد من الافراد ما كانت تظهر هذه الصفحات لولا مساعداتهم . ومن ثم فان كلمة شكر لابد وأن تقال . هناك أولا الاستاذ أحمد بهاء الدين والذى أصبح صديقا عزيزا ـ وكنت لا اعرفه وارسل مقالات الاهرام باسمه فينشرها .. وكذلك المرحوم الدكتور جمال العطيفى الذى كنت اعرفه .. وهناك ايضا الإستاذ صلاح منتصر . كذلك لابد من كلمة شكر الى السيدة نجاح محمد والتى عملت سكرتيره لى فترة من الزمن واليها يرجع الفضل فى الاحتفاظ بأصول الدراسات المنشورة وغير المنشورة والتى كان يمكن أن تجد مصير الكثير من دراسات سابقة ارسلت الى الصحف ولم تنشر وضاعت اصولها . واخيرا لا أنسى الاستاذين محمد وابراهيم المعلم اللذين قبلا مشكورين نشر هذه الدراسات ضمن مطبوعات دار الشروق .

والله ولى التوفيق ..

حازم الببلاوى

القاهرة ـ مصر الجديدة

نوفمبر ١٩٨٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ فى العلاقات الدولية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١

أفكار سائدة تحتاج الى معان جديدة*

- الاستقلال
- السيادة الوطنية
- المعلومات السرية

ليس الفكر بترديد الآراء السائدة وتبرير المواقف المتخذة ولكن باعمال العقل ، بدرجة من الجرأة والخيال وسعة الصدر ولابأس من بعض الخطأ ، فان ذلك هو أقل ثمن ندفعه لكى نصل الى الحقيقه .

من الالفاظ والافكار السياسيه التى تعيش معنا يوميا فكرة (الاستعمار) ولعلها بسبب ذلك لا تعبر عن أمور واضحه دائما كما أنها قد تكون مغ ال في بعض الاحيان . فالغالب أن تذكر هذه الكلمة وهى تشير الى ما يصاحب علاقات الدول المتقدمة للدول الصغيرة من علاقات استغلال بوجه خاص استغلال اقتصادى ، ويكمن وراء هذا التصور الضمنى شكل العلاقات الدولية

(*) نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٢/٦/٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى القرن التاسع عشر. وحيث كانت أكبر قوة اقتصادية فى العالم هى انجلترا : الدولة الصناعية البحرية الكبرى. وقد تشكلت العلاقات الدولية فى ذلك الوقت على النحو الذى يخدم مصالح انجلترا ونشأ نمط معين للتبادل التجارى تقدم فيه المناطق المختلفه المواد الاولية لتصنع فى انجلترا ، وغيرها من الدول الصناعية ، وتعود بعض السلع المصنعة للتصريف فى أسواق هذه المناطق المتخلفه . وهكذا نشأ النمط التقليدى للتبادل التجارى : مواد أوليه ـ سلع مصنعة . وقامت المناطق المتخلفه بدور جوهرى فى العلاقات الدولية ، فهى مصدر المواد الاولية وهى سوق ـ محدودة ـ لتصريف السلع المصنعة .

وهذه مازالت بصفه عامة فكرتنا الضمنية عن الاستعمار. ولم نزل نستخدم نفس الاصطلاح فى العصر الحديث للاشارة الى هذه المفاهيم .

لعل أول ملاحظة تستوقف النصر هى أن نمط التبادل التجارى للقرن التاسع عشر لم يعد قائما بنفس الدرجة . فعلى حين أن نمط التبادل مواد أوليه ـ سلع مصنوعة كان يمثل جوهر العلاقات التجاريه فى الماضى ، فان أكثر من ثلثى التجاره العالية الان تتم فيما بين الدول الصناعية الكبرى بوجه خاص وبين أنواع مختلفة من السلع المصنوعة . وحتى إذا نظرنا الى الجزء الباقى والذى لا زال يمثل النمط التقليدى نجد أنه يغلب عليه سلعة معينة هى البترول ـ الذى يوجد بكميات ضخمة فى الدول المختلفة . ولعله بغير ذلك كان من الممكن أن تنخفض حصة الدول النامية فى التجارة العالية بشكل كبير. ويرجع هذا التطور الى عدة اعتبارات ظهرت فى العالم فى القرن العشرين . فالدول الصناعية الكبرى اصبحت تتمثل فى قارات أو ما يقرب من القارات ومن ثم اصبحت تتمتع بوفرة تكاد تكون كاملة فى معظم الموارد : الولايات المتحدة الامريكية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاتحاد السوفيتى . حتى أوروبا بدأت تتجه نحو التكامل الاقتصادى وبحيث تظهر كقارة اقتصادية . ونفس الظاهرة نلمحها فى القوى الاقتصادية الصاعدة : الصين ، الهند ، البرازيل . أما نمط انجلترا الدولة الصغيرة الصناعية فلا يبدو أنه قابل للتكرار الآن . أضف الى ذلك أن التطور التكنولوجى قد خفف الى حد بعيد من ضروره الاعتماد على بعض المصادر للمواد الاولية نتيجة ظروفها المناخية أو الجرافية . فالصناعات الكيماوية وما حققته من تقدم قد خفف من الاعتماد على القطن والصوف والمطاط الطبيعى لتحل محله المركبات الكيماوية ولذلك فانه ربما باستثناء البترول واليورانيوم لم تعد حاجة الدول الصناعية المقتدمة الى الدول النامية كبيرة للحصول على المواد الاولية .

وهكذا يبدو أن الخطر الذى تتعرض له الدول النامية يكمن فى تجاهل الدول المتقدمة للعالم الثالث فى الدرجة الاولى والاستغلال فى الدرجة الثانية فقط . فالعالم المتقدم يتجه لمزيد من الاكتفاء وهو يحقق مزايا كبيرة متبادلة من الترابط الاقتصادى والحضارى فيما بينه . وما يهدد العالم الثالث الآن هو أن يسقط كلية من العلاقات الدولية ، على الاقل من علاقات العالم المتقدم . هنا ستكون فرص التقدم واللحاق بالدول المتقدمة غالية الثمن .

السيادة الوطنية :

أنظر أيضا الى فكرة اخرى لا تقل شيوعا وهى الاستقلال والسيادة الوطنية . وقد ظهرت السيادة والاستقلال تعبيرا عن جوهر العلاقات الدولية فى الماضى . والسيادة بهذا المعنى تفترض أمرين : من ناحية أن العلاقات الدولية تتم بشكل عام بين متساويين ، ومن ناحية أخرى أن نشاط الدولة الاساسى ينحصر داخل حدودها وأن العلاقات الدولية ليست سوى علاقات ذات تأثير عارض على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حياتها . أما الآن فان أيا من الامرين لا يسود بل أننا نعيش عصر لا تتحقق فيه أيه مساواة بين الدول من ناحية وتتزايد أهمية التأثيرات الخارجية على حياة الدول الداخلية من ناحية أخرى . فالدول أبعد ما تكون عن المساواة وإنما هناك تدرج هرمى لعلاقات القوة والسيطره . ولا يغير من الامر شيئا أن نعيش فى ظل توازن قوتين أو توازن قائم على تعدد الأقطاب . فالحقيقة أن العلاقات الدولية قائمة على توازن سيطرة وتدرج وليس على توازن وتعادل . وبالمثل فان العالم يتجه أكثر فأكثر الى وحدة عضوية تتداخل فيها العلاقات الدوليه بشكل مؤثر . فبصرف النظر عن وحدة العالم من حيث الاتصال المادى والمعنوى ، فان الارتباط الاقتصادى بين الدول يجعل كلا منها مجرد حلقة فى نظام معقد ومتشابك ، ومن ثم يجعل كلا منهما معرضا بدرجه أكبر لاية تقلبات فى الحياة الدولية . ولذلك تقبل انجلترا والمانيا وفرنسا واليابان وغيرها تضحيات كبيرة من أجل حماية الدولار وحماية استقرار نظام النقد الدولى . وليس فى هذا ـ فى نظر هذه الدول ـ ما يتعارض مع استقلالها ، أو قل أنها بدأت تتطور لتحل مفهوما جديدا من « الترابط » و « التعاون » بدلا من السيادة والاستقلال .

المعلومات :

وميدان ثالث أيضا نجد فيه بعض الافكار القديمة التى تحكم أوضاعا جديدة مختلفة . فنحن نعيش منذ حرب فلسطين ١٩٤٨ فى جو ونفسية الحرب ، وقد أثر ذلك على كثير من سلوكنا ، ولعل ليس أقلها خطورة ما يتعلق بالمعلومات والسرية . فالسائد قديما هو أن حبس المعلومات عن العدو يحرمه من الافادة منها ومن ثم لا ترتد أثارها الى صدورنا . ولكن العصر الحديث وهو بحق عصر المعلومات ، جعل الضرر المحقق من سريه وحبس المعلومات أخطر على الدولة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحيانا مما لو وقعت هذه المعلومات فى يد العدو . فالعصر الحديث يتميز بأمرين هامين ، الامر الاول هو ثورة المعلومات ، بمعنى أنه بقدر ما يتوافر من معلومات بقدر ما يمكن تحقق نتائج أفضل . فالمعلومات فى القرن العشرين كالطاقة فى القرن التاسع عشر ، والدولة التى تحرم نفسها من تداول المعلومات كالدولة التى لا تستخدم موارد الطاقة المتاحة لها . والامر الثانى أنه لم تعد حماية سرية المعلومات أمرا مستطاعا أو قل أن نفقات صيانة هذه الاسرار بالغة بحيث أنه لا يمكن تحققها عملا .

ولعل أهم وأحدث فروع المعرفة فى العشرين سنة الاخيرة هو علم السيبرناطيقا وهو علم المعلومات ، ويقال أن واضع هذا العلم العالم الامريكى وينر وكان يعمل اثناء الحرب فى ابحاث لتطوير مدفع معين لاحد أسلحه الجيش الامريكى وتوقف عند مشكلة معينة ، وبعد الحرب تبين أن نفس الموضوع يبحث فى سلاح آخر فى نفس الجيش الامريكى ، وأنه يبحث أيضا فى الجيش الالمانى مع اختلافات المشاكل أدت الى عدم التقدم .. وأيقن وقتها وينر أنه كان أفضل للجيش الامريكى أن ينشر ابحاثه العلمية بين الاسلحه المختلفه وأن ذلك كان أدعى لتقدم هذا الجيش . وعندما ما أخرج كتابه عن السيبرناطيقا فى الآله والحيوان ١٩٤٨ كان أهم ما أشار اليه هو أن الآله والحيوان ، بل والانسان ، لا تعدو أن تكون أجهزة لارسال المعلومات واستخدامها والتصرف فيها . وهذه الثورة فى المعلومات وما ارتبط بها من أجهزة (حواسب الكترونية) ومن نظم منطقيه (نظرية الالعاب ، البرامج الخطية وغير الخطية ، بحوث العمليات ..) ـ هذه الثورة الصناعية الجديدة مادتها الاولية هى المعلومات . واذا كان نشر المعلومات بهذه الاهمية فان نفقات السريه قد جاوزت كل حساب فى العصر الحديث . فكيف يمكن للدولة حماية السرية فى عالم الاقمار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصناعية ، والعلاقات الدولية المتعددة التى تظهر فيها اشكال الصادرات والواردات والتشابك الشديد بين الاف الاجهزة والادارات .. كيف يمكن فى ظل ذلك حماية السرية . أم لعلنا نتساءل هل دائما السرية ستار يحول دون العدو ومعرفة المعلومات ، أم على العكس حاجز بين الفرد والمواطن وبين معرفة الحقيقة . وليس معنى ذلك أننا ندعو لاذاعه خطط الدولة ونواياها فهذه ليست معلومات ولكنها أهداف وأولويات .. ولكن كيف نعيش القرن العشرين مثلا وما يزال أى باحث فى دراسته الاقتصادية أو غيرها عندنا يواجه بهذا الحاجز ... « سرى » ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢

التغيرات الدولية الكبرى
تحدث دون حرب*

الدور الذى يجب أن يلعبه العرب فى تشكيل سياسة أوروبا

كثر الحديث هذه الايام عن التغيرات التى تلحق خريطة العالم وعما ينبغى أن نتخذه لمواجهة هذه التغيرات من استراتيجية خلاقة وملائمة ؛ هناك ظهور الصين الشعبيه على المسرح العالمى ودخولها الامم المتحدة (زيارة نيكسون المتوقعة للصين وما تنطوى عليه من تعذيل نظرة امريكا لها) ؛ هناك انفتاح المانيا الغربية على الدول الاشتراكية والعودة تدريجيا لاقامة علاقات طبيعية معها ؛ هناك التفكير الجاد لوضع علاقات طبيعية معها ؛ هناك التفكير الجاد لوضع معاهدة للامن الاوربى ؛ هناك ظهور اليابان كقوة اقتصادية عالمية ؛ هناك انضمام انجلترا ومعها الدول الاسكندنافيه الى السوق الاوربيه المشتركه ؛ هناك تخفيض قيمة الدولار الامريكى لاول مرة منذ ١٩٣٤ ومقدمات لتفكير جاد فى اعادة تعديل نظام النقد الدولى ؛ هناك تأكيد للانفصال فى الاستراتيجية واحتكاكات بين

---

* نشر بجريدة الاهرام بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٧٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاتحاد السوفيتى والصين ؛ هناك حرب الهند وباكستان وبزوغ الهند كقوة سياسيه احتماليه فى الشرق الاقصى (بتأييد صريح من الاتحاد السوفيتى وبرضاء ضمنى من الولايات المتحدة الامريكية) .

هذه وغيرها مظاهر التحول فى خريطة العالم . وفى مثل هذه اللحظات التاريخية يجب أن تتغير السياسات الاستيراتيجية الاساسية . والواقع اننا نعيش فتره لا تختلف فى طبيعتها عن لحظات ما بعد الحرب .. وليس من المبالغة القول بأننا حتى الامس القريب كنا نعيش فترة مشاكل الحرب العالمية الثانية ، وأننا دخلنا هذه الأيام فقط فترة ما بعد الحرب. فحتى العصر النووى الذى نعيشه كانت التغيرات الكبرى تتم عن طريق الحروب . فالمشاكل القائمة والمصالح المتعارضة متى وصلت الى درجة معينه من التناقض والتصادم تنتهى دائما بالحرب . وهذه الحروب تحسم هذه المشاكل ولكنها بدورها تخلق مشاكل جديدة تظل عادة معلقة حتى تأتى حرب أخرى وهكذا . الحرب العالمية الثانية قد بدأت بالفعل عند توقيع معاهده فرساى ، والحرب العالميه الاولى بدورها لا يمكن فصلها عن التنافس الاستعمارى وعن حرب ١٩٧٠ بين المانيا وفرنسا ، وهذه الاخيرة قد تجد بعض تفسيراتها فى حروب نابليون وتجزأته لالمانيا .

الرعب النووى وتغيرات هامة

والجديد فى العلاقات الدولية هو ضرورة حل المشاكل دون الالتجاء الى الحرب ، على الاقل الحرب الصريحة المكشوفة بين الدول الصناعية الكبرى ، فالرعب النووى قد جعل هذه الحرب مستحيلة .

والتغيرات التى تتم الآن على خريطة العالم من الاهميه والخطورة بحيث قد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يمكن القول انها ماكانت لتتم ـ فى غياب الرعب النووى ـ دون حرب عالمية جديدة . وعلى ذلك فنحن فى لحظات خطيرة . وبقدر ذكائنا فى فهم خطورة الموقف واتخاذ السياسة المناسبة بقدر نجاحنا لاجيال قادمة .

فقد كنا حتى الامس القريب نعيش فى ظروف الحرب العالمية الثانية ، واليوم فقط مع التغيرات المتقدمة بدأنا نعيش فترة مابعد الحرب وذلك نتيجة للتطورات التى لحقت الوضع النسبى للولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ونتيجة للتطورات التى لحقت أوربا واليابان والصين .

فعند نهاية الحرب العالمية الثانية خرجت الولايات المتحدة الامريكية متفوقة اقتصاديا وعسكريا على دول العالم ، وتخلت أوربا عن قيادتها السياسية للعالم حيث أضعفتها الحرب العالمية الاولى ثم أجهزت عليها الحرب الثانية . كذلك برز الاتحاد السوفيتى بعد الحرب كقوه سياسية كبيرة وديناميكية . وهكذا سيطر على مقدرات العالم قوتى امريكا وروسيا (ومن الغريب أن الفرنسى توكفيل De Tocqueville قد تنبأ منذ أكثر من قرن من الزمان بأن العالم يتجه ليسيطر عليه كل من امريكا وروسيا) .

وقد أمكن للعالم أن يسير فى ظل هاتين القوتين العظميين ، وأمكن ايجاد تسويات نهائية فى معظم الامور ، وبعض تسويات مؤقته ومعلقة فى أمور اخرى . وقد تمكن العالم من أن يعبر هذه الفترة بسلام معقول مع بعض التضحيات (حرب كوريا ، سياسة حافة الحرب ، الازمات المتكررة فى برلين.. الخ)، ففى أوربا تم تقسيم للنفوذ الغربى والشرقى مع وجود المسأله الالمانية معلقة . وفى الشرق الاقصى اشترى روزفيلت تدخل الاتحاد السوفيتى فى الحرب ضد اليابان مقابل بعض التنازلات فى الصين ، ثم عندما أكتشفت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الادارة الامريكية فى عهد ترومان فداحة الخسارة القت القنابل الذرية على اليابان حتى يتم استيلاء امريكى خالص عليها ولا تكرر قصة تقسيم المانيا . وبذلك اعتبر النفوذ الامريكى فى اليابان عوضا عن خسارتها فى الصين . وظلت بعض الامور معلقة فى الشرق الاقصى : فيتنام ، كوريا وبصفة عامة المستعمرات السابقة لقوى ما قبل الحرب العالمية الثانية .

وأقيم نظام للامن العالمى (مجلس الامن وهيئه الامم) يعمل بموافقة الدولتين الكبيرتين وأقيم نظامان للنقد ، نظام الكتلة الشرقية يخضع للرقابة على الصرف ويظل فيه الاقتصاد السوفيتى متفوقا ، ونظام عالمى للدول الاخرى خارج هذه الكتلة تقوم فيه الولايات المتحدة بدور البنك العالمى للتجارة الدولية .

أوروبا واليابان والصين :

وهكذا عاش العالم حتى الامس القريب ظروف الحرب العالمية الثانية بما فرضته من حكم القوتين الكبيرتين . وقد تغيرت ظروف العالم بعد الحرب العالمية الثانية فعادت أوربا أقتصاديا وسياسيا الى وضعها الطبيعى أو كادت ، وبالمثل عادت اليابان الى مكانتها الاقتصادية السابقة ثم جاوزتها بمراحل . وفى نفس الوقت بدأت قوى النمو فى الصين تظهر وحققت معدلات طيبة جدا من النمو الاقتصادى بالاضافة الى الاستقرار السياسى الكبير الذى عرفته . وقد أضفى عليها ذلك بالنظر الى حجم سكانها ومواردها ووضعها فى الشرق الاقصى دورا متزايدا .

وهذه الظروف الجديدة بدأت تحدث تغيرات واضحة فى طبيعة العلاقات الدولية . والامر الجدير بالاعتبار هو أن هذه التغييرات تتم الآن امام اعيننا